(٢٨، ٢٩، ٣٠) [العليم، العالم، علام الغيوب]

ورد اسم (العالم) ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم أضيف في عشر منها إلى الغيب والشهادة، وأضيف في ثلاث منها إلى الغيب وحده.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [التوبة: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الجن: ٢٦].

كما ورد هذا الاسم مرتين في صورة الجمع:

قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨١].

أما اسم الله (العليم) فقد ورد في القرآن الكريم مائة وسبعًا وخمسين مرة من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النمل: ٧٨].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢].

وأما اسمه سبحانه (علام الغيوب) فقد ورد أربع مرات ثنتان منها في سورة المائدة.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦].

وفي سورة التوبة: قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [التوبة: ٧٨].

وفي سورة سبأ: قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سبأ: ٤٨].

ويلاحظ إضافة «علامّ» إلى الغيوب في هذه المواضع، والغيوب جمع غيب.

فالزيادة والتكثير في هذا الاسم «علامّ» تشاكل الجمع في غيوب.

المعنى اللغوي لهذه الأسماء:

(العليم والعالم) اسمان متضمنان صفة العلم، (فالعالم): اسم الفاعل من علم يعلم فهو عالم، والعليمُ من أبنية المبالغة في الوصف بالعلمِ، وهو بمنزلة قدير من القادر.

والعلامّ بمنزلة عليم في المبالغة في الوصف بالعلم إلا أن علامًا يتعدى إلى مفعول، وبناء فعال بناء تكثير وزيادة[1].

وقال في اللسان: «والعلم: نقيض الجهل.. وعلمت الشيء: عرفته وخبرته. وعلم بالشيء: شعر به»[2].

---

(١) انظر الزجاجي ص ٥٠.

(٢) انظر لسان العرب ٤/ ٣٠٨٢.

وقال الراغب: «العلم: إدراك الشيء بحقيقته»[(١)].

معناه في حق الله تعالى:

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢]: «إنك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالم للغيوب دون جميع خلقك»[(٢)].

وقال: «إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من إيمان وكفر، وحق وباطل، وخير وشر، وما تستجنه مما لم تجنه بعد»[(٣)].

وقال صاحب اللسان: «فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالمًا ولا يزال عالمًا بما كان وما يكون ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها على أتم الإمكان»[(٤)].

وقال السعدي رحمه الله تعالى: «وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار، والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي، والحاضر، والمستقبل، فلا يخفى

---

(١) مفردات الراغب «علم».

(٢)، (٣) تفسير الطبري ١/ ١٧٥، ١١/ ١٢٧.

(٤) لسان العرب ٤/ ٣٠٨٢، ٣٠٨٣.

عليه شيء من الأشياء»[1].

وقال أيضًا: «وهو العليم المحيط علمه بكل شيء: بالواجبات، والممتنعات، والممكنات، فيعلم تعالى نفسه الكريمة، ونعوته المقدسة، وأوصافه العظيمة، وهي الواجبات التي لا يمكن إلا وجودها، ويعلم الممتنعات حال امتناعها، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت كما قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنين: ٩١] .

فهذا وشبهه من ذكر علمه بالممتنعات التي يعلمها، وإخباره بما ينشأ منها لو وجدت على وجه الفرض والتقدير. ويعلم تعالى الممكنات - وهي التي يجوز وجودها وعدمها- ما وجد منها، وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده؛ فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي، والسفلي لا يخلو عن علمه مكان، ولا زمان ويعلم الغيب، والشهادة، والظواهر، والبواطن، والجلي، والخفي، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

والنصوص في ذكر إحاطة علم الله، وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جدًا لا يمكن حصرها، وإحصاؤها، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر، وإنه لا يغفل، ولا ينسى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه: ٧] »[2].

---

(١) تفسير السعدي ٥/ ٢٩٩.

(٢) توضيح الكافية الشافية ص١١٨، وانظر الحق الواضح المبين ص٣٦.

«وإن علوم الخلائق على سعتها، وتنوعها إذا نسبت إلى علم الله اضمحلت، وتلاشت، كما أن قدرتهم إذا نسبت إلى قدرة الله لم يكن لها نسبة إليها بوجه من الوجوه، فهو الذي علمهم ما لم يكونوا يعلمون، وأقدرهم على مالم يكونوا عليه قادرين.

وكما أن علمه محيط بجميع العالم العلوي، والسفلي، وما فيه من المخلوقات ذواتها، وأوصافها، وأفعالها، وجميع أمورها.

فهو يعلم ما كان، وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم، وبعد ما يميتهم، وبعد ما يحييهم، قد أحاط علمه بأعمالهم كلها خيرها، وشرها، وجزاء تلك الأعمال، وتفاصيل ذلك في دار القرار»[1].

«فينبغي للمؤمن الناصح لنفسه أن يبذل ما استطاع من مقدوره في معرفة أسماء الله، وصفاته، وتقديسه، ويجعل هذه المسألة أهم المسائل عنده، وأولاها بالإيثار، وأحقها بالتحقيق ليفوز من الخير بأوفر نصيب.

فيتدبر مثلاً اسم (العليم): فيعلم أن العلم كله بجميع وجوهه واعتباراته لله تعالى؛ فيعلم تعالى الأمور المتأخرة أزلاً وأبدًا، ويعلم جليل الأمور وحقيرها، وصغيرها وكبيرها، ويعلم تعالى ظواهر الأشياء وبواطنها، غيبها وشهادتها، ما يعلم الخلق منه وما لا يعلمون، ويعلم تعالى الواجبات -أو المستحيلات- والجائزات، ويعلم تعالى ما تحت

(١) الحق الواضح المبين ص٣٧،٣٨.

الأرض السفلى ويعلم ما فوق السماوات العلى، ويعلم تعالى جزئيات الأمور وخبايا الصدور، وخفايا ما وقع ويقع في أرجاء العالم وأنحاء المملكة؛ فهو الذي أحاط علمه جميع الأشياء في كل الأوقات، ولا يعرض تعالى لعلمه خفاء، ولا نسيان؛ كقوله في غير موضع: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٩٩] »[١].

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في نونيته:

وهـو العليم أحـاط علمًا بالذي ... في الكون من سر ومن إعــلان
وبكـل شـيء علمــه ســبحانه ... فهـو المـحـيط وليس ذا نسـيان
وكذاك يعلم ما يكــون غدًا وما ... قـد كان والموجـــود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكـن لو كان كيف ... يكون ذاك الأمـر ذا إمكــان[٢]

«وبراهين علمه - تعالى - مشاهدة في خلقة وشرعه، ومعلوم عند كل عاقل أن الخلق يستلزم الإرادة، ولا بد للإرادة من علم بالمراد»[٣].

ذكر بعض متعلقات علم الله - عز وجل- في خلقه سبحانه وأمره:

أولاً: شمول علم الله - عز وجل - لكل شيء في السماوات وفي الأرض قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال الله - عز وجل -: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية ص ٦٣، ٦٤.

(٢) نونية ابن القيم ٢/ ٢١٥، الأبيات (٣٢٣٤ - ٣٢٣٧).

(٣) صفات الله - عز وجل - الواردة في الكتاب والسنة علوي السقاف ١٨٥.

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾ [سبأ: ٣].

ثانيًا: علمه الشامل لكل ما يلج في الأرض، وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، قال الله - عز وجل -: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤].

ثالثًا: علمه المحيط واختصاصه بمفاتيح الغيب، وبما يحدث من صغير أو كبير في البر والبحر، قال الله - عز وجل -: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

رابعًا: علمه المحيط بمكنونات القلوب، وما تخفيه الصدور، وما توسوس به النفوس، قال الله - عز وجل -: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الرعد: ١٠]، وقال - عز وجل -: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦].

ومن ذلك علمه سبحانه بكل ما يقوله العباد ويعلمونه سرًا وعلانية في ليل أو نهار، فرادى أو جماعات، قال الله - عز وجل -: ﴿ وَمَا تَكُونُ

فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾

[يونس: ٦١].

خامسًا: علمه الشامل بما في الأرحام لكل أنثى، قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الرعد: ٨]، وقال سبحانه: ﴿ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: ٣٤].

سادسًا: علمه سبحانه لكل الأشياء قبل وقوعها وأن ذلك في كتاب، وله الحكمة البالغة في تقديرها، قال سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢].

سابعًا: علمه سبحانه لأحوال عباده تقيهم من فاجرهم، وغنيهم من فقيرهم، وغير ذلك من الفوارق، وذلك قبل أن يخلقهم ويكلفهم، وأن توفيقه لمن يشاء وخذلانه لمن يشاء إنما يكون عن علم بأحوال عباده وعن حكمة بالغة، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال عن أصحاب محمد ﷺ: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ ﴾ [الفتح: ٢٦].

ثامنًا: علمه المحيط الدقيق لكل مناجاة بين اثنين فأكثر مهما أسروا

النجوى، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة: ١]، وقال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة: ٧].

تاسعًا: علمه الشامل لما ينزل من الشرائع على رسله وأنه سبحانه أعلم بما ينزل، وأعلم بما يصلح لعباده، وينتهي بهم إلى السعادة والخير في الدارين، قال الله – عز وجل –: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [النحل: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سبحانه: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وكثير من آيات الأحكام يختمها الله – عز وجل – بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ليخبرنا الله – عز وجل – أنه إنما يشرع بعلم وحكمة. يقول الله – عز وجل –: ﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦].

عاشرًا: هذا العلم الذي يعلمه الإنسان المحدود من علوم الدين والدنيا إنما هو من تعليم الله تعالى له واختصاصه له بالعقل، وقابليته التعلم، وإلا فالإنسان كما قال عنه خالقه – عز وجل –: ﴿ وَٱللَّهُ

أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨]، وهذا العلم الذي عند الإنسان مهما كثر وتفرع، فإنه لا يساوي شيئًا البتة عند علم الله تعالى. وما أحسن ما وصف به الخضر –عليه السلام– علم الإنسان بالنسبة إلى علم خالقه عز وجل، حينما قال لموسى – عليه السلام – وهو يرى طائرًا ينقر في البحر ليأخذ من مائه فقال عليه السلام: **(يا موسى إن معك علمًا لم يعلمنيه الله تعالى، ومعي علم لم يعلمكه الله – عز وجل – يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر)**[1].

يقول الخطابي رحمه الله: «والآدميون – وإن كانوا يوصفون بالعلم – فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فَيَخلُفُ علمهم الجهل، ويعقُبُ ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالمًا بالفقه غير عالم بالنحو، وعالمًا بهما غيرَ عالم بالحساب والطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله سبحانه علم حقيقة وكمال: ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن: ٢٨] »[2].

حادي عشر: اختص الله عز وجل نفسه سبحانه بعلوم الغيب، قال سبحانه: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأنعام: ٥٩]،

(١) رواه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) شأن الدعاء ص (٥٧).

وقال: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

وذكر منها خمسة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤].

قال الألوسي رحمه الله: «وما في الإخبار يحمل على بيان البعض المهم لا على دعوى الحصر، إذ لاشبهة في أن ما عدا الخمس من المغيبات لا يعلمه إلا الله تعالى»[(١)].

فعلم الغيب لا شك أنه أعظم وأوسع من أن يحصر في هذه الخمس فقط.

ومن زعم أن أحدًا يعلم الغيب غير الله سبحانه فقد كفر بالآيات السابقة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ومن زعم أنه - تعني النبي ﷺ - يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥][(٢)].

ثاني عشر: إن الله سبحانه لكمال علمه، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، لو كان كيف يكون، أي: أنه سبحانه يعلم الأمور الماضية التي وقعت، والأمور المستقبلية التي لم تقع بعد، ويعلم الأمور التي لن تقع لو فرض أنها

---

(١) روح المعاني ٧/ ١٧١.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم (١٧٧).

تقع كيف تقع، وهذا من كمال علمه بالغيب وعواقب الأمور قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الآية [التوبة: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفتح: ٢٧].

ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى وهو يوصي من يخاصم القدرية بقوله: حجوهم بالعلم؛ أي: اسألوهم: هل الله - عز وجل - علم بالأشياء قبل وقوعها؟ فإن أقروا خصموا، وإن نفوا العلم كفروا.

وأشنع من القدرية أولئك الفلاسفة الذين نفوا علم الله تعالى بالجزئيات وقالوا: إنه يعلم الأشياء على وجه كلي لا جزئي. وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» فليرجع إليه وممن رد عليهم بالقرآن تلميذه ابن القيم - رحمه الله تعالى - حيث قال: «إن (الحمد لله) - يعني الفاتحة - تتضمن الرد على منكري علمه تعالى بالجزئيات وذلك من وجوه:

أحدها: كمال حمده وكيف يستحق الحمد من لا يعلم شيئًا من العالم وأحواله وتفاصيله...

الثاني: أن هذا مستحيل أن يكون إلهًا وأن يكون ربًا، فلابد للإله المعبود المدبر من أن يعلم عابده ويعلم حاله.

الثالث: من إثبات رحمته، فإنه يستحيل أن يرحم من لا يعلم.

الرابع: إثبات ملكه، فإن ملكًا لا يعرف أحدًا من رعيته البتة ولا

شيئًا من أحوال مملكته البتة ليس بملك بوجه من الوجوه.

الخامس: كونه مستعانًا.

السادس: كونه مسؤولاً أن يهدي سائله ويجيبه.

السابع: كونه هاديًا.

الثامن: كونه منعمًا.

التاسع: كونه غضبانًا على من خالفه.

العاشر: كونه مجازيًا يدين الناس بأعمالهم يوم الدين ففي نفي علمه بالجزئيات مبطل لذلك كله[1].

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (العليم):

أولاً: الخوف من الله - عز وجل - وخشيته، ومراقبته في السر والعلن، لأن العبد إذا أيقن أن الله تعالى عالم بحاله مطلع على باطنه وظاهره، فإن ذلك يدفعه إلى الاستقامة على أمر الله - عز وجل - ظاهرًا وباطنًا، فتزكوا أعمال قلبه وجوارحه ويصل إلى مرتبة الإحسان الذي قال عنه النبي ﷺ: **(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[2].

ثانيًا: اليقين بشمول علم الله تعالى لكل شيء في السماوات والأرض، وللبواطن والظواهر، يثمر في قلب العبد تعظيم الله تعالى

(١) مدارج السالكين ١/ ٦٧.

(٢) البخاري، كتاب الإيمان، ح ٥٠، ومسلم، كتاب الإيمان، ح ٨.

وإجلاله والحياء منه، كما يعين على التخلص من الآفات القلبية التي تخفى على الناس ولكنها لا تخفى على الله - عز وجل - كآفة الرياء، والحسد، والغل، والعجب، والكبر، وآفات الخواطر الرديئة والوساوس الشيطانية حتى يصبح القلب سليمًا من كل شبهة تعارض خبر الله تعالى وخبر رسول الله ﷺ، ومن كل شهوة تعارض أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، وسليمًا من كل غش أو إرادة سوء بأحد من المسلمين.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «فإن قلت: فما السبيل إلى حفظ الخواطر قلت: أسباب عدة، **أحدها**: العلم الجازم باطلاع الرب سبحانه ونظره إلى قلبك، وعلمه بتفصيل خواطرك. **الثاني**: حياؤك منه.

الثالث: إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر في بيته الذي خلق لمعرفته ومحبته.

الرابع: خوفك أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.

الخامس: إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته...»[1].

ويعرف القلب السليم بقوله: «وهذا هو القلب السليم الذي لا يفلح إلا من أتى الله به، فيسلم من الشبه المعارضة لخبره، والإرادات المعارضة لأمره، بل ينقاد للخبر تصديقًا واستيقانًا وللطلب إذعانًا وامتثالاً»[2].

ثالثًا: إن اليقين بعلم الله تعالى للأمور قبل وقوعها وكتابتها عنده سبحانه في اللوح المحفوظ قبل خلقها، يثمر في قلب العبد طمأنينة إزاء ما

(١) طريق الهجرتين ١/ ٢٧٥.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٤٨٧.

يقضيه الله تعالى من الأحكام القدرية كالمصائب، والمكروهات التي لم تحدث إلا بعلم الله تعالى وحكمته وأنها ليست عبثًا ولعبًا.

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣]، ولذا نجد أنبياء الله - عز وجل - يذكرون هذا الاسم مع اسمه الحكيم كعزاء لهم في ما يواجههم من مصائب وآلام، فهذا يعقوب - عليه السلام - يقول عند فقد أبنائه الثلاثة: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يوسف: ٨٣] ، وعندما عاتب الله - عز وجل - نبيه نوحًا - عليه السلام - بسؤاله لابنه قال نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [هود: ٤٧].

وفي الآيات التي يذكر الله تعالى فيها تفاوت أرزاق الناس بين فقر وغنى، نجد أن بعضها يختم بعلم الله تعالى قال الله - عز وجل -: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

كما يلاحظ أيضًا ذكر هذا الاسم الكريم فيما يقضيه سبحانه من الهدى، والضلال، والتوفيق، والخذلان، وأن ذلك كله كان ويكون بعلم الله تعالى الذي لا تحيط بعلمه العقول فيحصل حينئذ التسليم، والانقياد،

والراحة، والاطمئنان، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال سبحانه عن خليله ونبيه إبراهيم ﷺ: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١].

رابعًا: التسليم لأحكام الله الشرعية، والرضى بها، والفرح والاغتباط بها حيث إنها من لدن عليم حكيم، عليم بما يصلح لعباده ويجلب لهم الخير والسعادة في الدارين فيأمرهم به، وعليم بما يجلب لعباده الشر والشقاء في الدارين فينهاهم عنه، ويحذرهم منه، فهو سبحانه أعلم بخلقه وما يصلح لهم من أنفسهم: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦].

ولذا نجد كثيرًا من آيات الأحكام تختم باسميه سبحانه (العليم، الحكيم). كقوله تعالى بعد أن ذكر أحكام المهاجرات من مكة إلى المدينة: ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقوله تعالى بعد أن ذكر المحرمات من النساء في سورة النساء: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [النساء: ٢٤]، وقوله - عز وجل -: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ

رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [النساء: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وهذا التسليم لأحكام الله الشرعية يقتضي الحكم بها، والتحاكم إليها، وسلامة القلوب من الحرج منها، ورفض ما سواها من السياسات الجائرة، والأقيسة الفاسدة، والأذواق والمواجيد السامجة، والسعي بالدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى لإقامتها حتى يكون الدين كله لله، وينعم الناس بشريعة الله - عز وجل - المبرأة من الجهل، والظلم، والهوى، والنقص لأنها من لدن حكيم عليم.

خامسًا: إن يقين العبد بعلم الله تعالى الشامل لكل شيء، ومن ذلك علمه سبحانه بحال عبده المصاب وما يقاسيه من الآلام، إن ذلك يثمر في القلب الرجاء والأنس بالله تعالى ويدفع اليأس والقنوط من القلب، لأن العبد إذا أيقن أن ربه سبحانه يعلم حاله ولا تخفى منه خافية في ليل أو نهار في بر أو بحر أو سماء، فإن ذلك يثمر في قلب المؤمن تعلقه بربه تعالى العالم بأحوال عباده، فيتضرع بين يديه، ويوجه شكواه إليه، ويلقي بحاجته عند بابه. فإذا وافق هذا الانطراح والانكسار حسن ظن بالله تعالى وقوة اضطرار، لم تتخلف الإجابة، وجاءه الفرج من ربه العليم الحكيم، البر الرحيم.

سادسًا: تثبيت المؤمنين في ميدان الصراع والنزال مع الباطل وأهله. فإذا

قصر علم البشر عن العلم والإحاطة بكيد الكافرين ومكرهم فإن الله - عز وجل - لا تخفى عليه من أمورهم خافية، وهو من ورائهم محيط وعليهم قدير. وهذا الإيمان يجعل المؤمن في مواجهة الخصوم وكيدهم يطمئن قلبه، ويقوى ضعفه، ويقبل على مقارعة عدوه غير هياب ولا وجل.

قال الله - عز وجل -: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النساء: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٧]، وقوله سبحانه: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يس: ٧٦]، وقوله - عز وجل - عن المنافقين: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

سابعًا: الحرص على التزود من العلم النافع، والتواضع لله تعالى وللخلق بهذا العلم، وعدم التكبر والفخر به، وهذا إنما يتأتى باليقين بأنه لا علم من علوم الدين والدنيا إلا من الله - عز وجل -: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ ﴾ [البقرة: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق: ٥]، واسمه سبحانه (العليم) يقتضي محبة الله تعالى للعلم والعلماء، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الله سبحانه (عليم) يحب كل عليم، وإنما يضع علمه

عند من يحبه فمن أحب العلم وأهله فقد أحب الله وذلك مما يدان به»[1]، وقال أيضًا: «أحب الخلق إليه: من اتصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكريم من عباده، عالم يحب العلماء»[2] والعلماء المقصودون هنا هم العلماء العاملون بعلمهم، الداعون إليه، الخائفون من الله، المتواضعون للحق وللخلق، أما من أدى به علمه إلى التكبر والفخر والمباهاة دون العمل والخشية، فليس بعالم ولا محبوب لله عز وجل.

ومما يعين العالم على التواضع يقينه أن ما أوتي من العلم إن هو إلا قطرة من بحر علم الله تعالى قال الله - عز وجل -: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء٨٥]، ومر بنا قول الخضر لموسى - عليهما السلام - عندما رأى عصفورًا ينقر بمنقاره في البحر[3].

اقتران اسمه سبحانه (العليم) ببعض الأسماء الحسنى:

أولاً: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (الحكيم):

وقد سبق في مبحث (الحكيم) ذكر بعض أوجه هذا الاقتران، فليرجع إليه، ومر بنا أن هذا الاقتران ورد في القرآن الكريم (٣٧) مرة.

ثانيًا: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (العزيز):

وجاء هذا الاقتران (٥ مرات)، من ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يس: ٣٨]، [فصلت: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٤٣٥.

(٢) الوابل الصيب ص ٥٣.

(٣) سبق تخريجه ص٣٣٩.

يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨].

و(العزيز) هو القوي الغالب، والقاهر لكل شيء وحي. ولكن هذه العزة، والغلبة، والقهر إنما تكون بعلمه سبحانه الشامل لكل شيء أي: أن إنفاذ هذه العزة إنما يكون بعلم ومعرفة بمواطنها وعواقبها، وليس كعزة وقوة المخلوق التي تنطلق في الغالب من الهوى والظلم لا من العلم والحكمة.

«وله سبحانه صفة كمال من اسمه (العزيز)، وصفة كمال من اسمه (العليم) واجتماع الاسمين الجليلين دال على عزة قوامها شمول العلم وإحاطته فهي عزة (العليم) »[1].

ثالثًا: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (السميع):

وجاء هذا الاقتران في القرآن الكريم (٣٢) مرة.

(والسميع): المدرك لكل مسموع خلقه فهو اسم ينبئ عن كمال السمع فلا تكييف ولا تشبيه.

وسيأتي تفصيل هذا الاسم في مبحث (السميع) إن شاء الله تعالى.

ومن الآيات التي ورد اقتران هذين الاسمين الكريمين فيها قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يوسف: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحجرات: ١].

«وهذا الاقتران يمنحهما مزيد كمال. فإذا كانت صفة (السميع) تنبئ

---

(١) انظر: مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم ص ١٤٢.

بإحاطة السمع بكل المسموعات فلا يندر عنه - عز وجل - شيء، ولا تعزب عنه كبيرة ولا صغيرة، فإن صفة (العليم) تنبئ بتجاوز (السمع) حدود البعد المادي للمسموعات - وإن بلغ في إدراكها الغاية كما تقدم - فحصل من اقتران الاسمين (السميع العليم) صفة كمال أخرى، ودُلَّ بهما على إحاطة أتم لما تقدم من أن متعلق صفة (العلم) أوسع من متعلق صفة (السمع).

والملاحظ أن اسم (السميع) حيثما ورد مع اسم (العليم) قدم عليه فالنسق دائمًا: السميع العليم، ولا عكس، فلا بد أن يكون من وراء ذلك حكمة، ذكر منها: أن السمع يتعلق بالأصوات، ومن سمع صوتك فهذا أقرب إليك في العادة ممن يقال لك أنه يعلم - مهما بلغت درجة علمه - فذكر السميع أوقع في التخويف من ذكر (العليم) فهو أولى بالتقديم، ولا يقتصر الأمر على مقام التخويف فإن لتقديم صفة (السميع) في مقام الدعاء أثره في إنطلاق اللسان بالدعاء، والطلب، والشكوى حين يستشعر الداعي أنه يخاطب من يسمعه ويصغي إلى نجواه»[1].

رابعًا: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (الشاكر):

ورد ذلك (مرتين) في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨]، و (الشاكر) من أسماء الله تعالى الحسنى، وصفة الشكر من الله - عز وجل - لعباده

(١) انظر: مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم ٢٤٧، ٢٤٨.

المؤمنين الذين يزيدون على الفرائض بالتطوعات والنوافل تعني التفضل والإحسان إليهم، وإثابتهم على هذه القربات، لأنها تدل منهم على حبهم لطاعة الله - عز وجل - فأثابهم الله تعالى على ذلك بقبولها وإثابتهم عليها كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٢]، وهو شكر يليق بعظمة الله تعالى وجلاله، وأما عن المعنى الزائد في اجتماع هذين الاسمين الكريمين (الشاكر)، (والعليم) فهو - والله أعلم - أن الله سبحانه عليم بمن يستحق الشكر على عمله وقبوله وإثابته عليه، فليس كل عامل ومتطوع بالخير يقبل الله سعيه ويشكره عليه. فهو سبحانه أعلم بالشاكرين حقيقة، وبالمتقربين المخلصين في تقربهم له سبحانه، قال الله - عز وجل -: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النجم: ٣٢].

خامسًا: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (الحليم):

وقد ورد هذا الاقتران في القرآن الكريم (ثلاث) مرات من ذلك قوله تعالى:﴿ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥١]. وقوله سبحانه: ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج:٥٩].

وفي الجمع بين هذين الاسمين الكريمين صفة كمال أخرى؛ إذ أن الله - عز وجل - لو يعامل عباده ويجازيهم بما يعلمه سبحانه من ذنوبهم الظاهرة وما تخفيه قلوبهم من المعاصي الباطنة لهلكوا ولكنه سبحانه

حليم عمن عصاه يغفر له ويمهله ولا يعاجله بالعقوبة لعله يتوب وينيب، قال الله - عز وجل -: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾ [فاطر: ٤٥].

فما أجمل العلم الذي يزينه الحلم. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «...ولهذا جاء اسمه (الحليم) في القرآن في أكثر من موضع ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم كقوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢] وفي أثر «أن حملة العرش أربعة، اثنان منهم يقولان: سبحانك اللَّهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، واثنان يقولان: سبحانك اللَّهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك» فإن المخلوق يحلم عن جهل، ويعفو عن عجز، والرب تعالى يحلم مع كمال علمه، ويعفو مع تمام قدرته، وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم ومن عفو إلى اقتدار.. »[1].

سادسًا: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (الخبير):

قال الله - عز وجل -: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء: ٣٥]، وجاء هذا الاقترن في آيات أخر، وقد جاء اقتران هذين الاسمين الكريمين في القرآن (أربع) مرات.

---

(١) عدة الصابرين ص ٢٣٦.

(والخبير): «هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة» وهو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته. «و(الخبير) أخص من (العليم) لأنه مشتق من خبر الشيء إذا أحاط بمعانيه ودخائله»[٢].

أما عن المعنى الزائد من الجمع بين هذين الاسمين الجليلين (العليم الخبير):

فإن (العليم) كما سبق دال على شمول العلم، (والخبير) هو العالم بكنه الشيء المطلع على حقيقته، والذي لا تعزب عنه الأمور الباطنة. فإذا اقترن باسمه سبحانه (العليم) كان مقام الاقتران في سياق الآية يناسبه ذكر هذين الاسمين الكريمين فإما أن يكون المقام مقام اختصاص الله - عز وجل - بعلم وحكمة ينفردان عن علم الخلق في أمره وشرعه أو يكون المقام مقام اختصاص الله - عز وجل - بالغيب المحجوب عن الخلق في قضائه وقدره، أو في مقام اطلاع الله - عز وجل - على مكنونات الصدور ووساوس القلوب. وعند تدبر الآيات التي ختمت بهذين الاسمين الكريمين يتضح ذلك جليًا.

وقد يقال: إن (**العليم الخبير**) إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا؛ بمعنى أنه إذا ذكر اسمه سبحانه (**العليم**) مفردًا فإنه يشمل إحاطة علم الله عز وجل بالظواهر والبواطن، وكذلك لو ذكر اسمه سبحانه (**الخبير**) مفردًا. أما إذا اجتمعا في آية واحدة فإن (**العليم**) يفيد الإحاطة العلمية بالعالم المشهود، و(**الخبير**) بعالم الغيب والبواطن، والله أعلم.

---

(٢) المصدر السابق ٤٢١.

سابعًا: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (الواسع):

قد سبق الكلام عن توجيه هذا الاقتران عند الحديث عن اسمه سبحانه (الواسع) فليرجع إليه.

ثامنًا: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (القدير):

وقد جاء هذا الاقتران في كتاب الله - عز وجل - (أربع) مرات من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [النحل: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم: ٥٤].

(والقدير) مبالغة من (القدرة) أي: عظيم القدرة «الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي حكمته لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى»[(١)].

والمعنى الزائد المستفاد من الجمع بين هذين الاسمين الكريمين (العليم القدير) هو أن اقتران العلم بالقدرة يدل على كماله - عز وجل - في الوصفية لأن العلم بدون قدرة عجز، والقدرة بدون علم مظنة الإفساد والظلم والطغيان. والله أعلم[(٢)].

---

(١) مفردات الراغب (قدر).

(٢) انظر مطابقة الأسماء الحسنى مقتضى المقام، د. نجلاء كردي ص ٤٣٣ بتصرف.

تاسعًا: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (الفتاح):

ورد اقتران هذين الاسمين الكريمين في كتاب الله - عز وجل - (مرة واحدة) وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ: ٢٦].

(والفتاح) له معنى عام يشمل فتح كل مغلق من الأسباب كالرزق والعلم، وله معنى خاص كما هو المراد من آية سبأ، وهو الفصل والحكم الحق، ولذا فيقال في وجه اقتران هذين الاسمين الجليلين: «أنه إذا حمل الفتح على عموم معناه، فشمل فتح كل مغلق من الأسباب كالرزق والعلم كان اقتران اسم (العليم) به دالاً على كمال الفتح، وأنه يجري على مقتضى العلم، وفي ذلك صلاح العباد واستقامة أحوالهم، بخلاف ما لو كان فتحًا بغير علم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وإذا أريد بالفتح القضاء والحكم كان اقتران (الفتاح) بـ (العليم) دالاً على كمال الفتح أي: الحكم مشيرًا إلى استقامته على العدل والقسط، فلا تميل به الأهواء، ولا ينحرف به الجهل، ومثل هذا الحكم جدير بأن يرهب ويخاف»[(١)].

ويقول صاحب التحرير والتنوير: «وإنما أتبع (الفتاح) بـ (العليم) للدلالة على أن حكمه عدل محض لا تحف بحكمه أسباب الخطأ والجور الناشئة عن الجهل والعجز واتباع الضعف النفساني الناشئ عن الجهل بالأحوال والعواقب»[(٢)].

---

(١) انظر مطابقة أسماء الله الحسنى المقام في القرآن الكريم ص ٦٣٨.

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ١٩٥.

عاشرًا: اقتران اسمه سبحانه (العليم) باسمه سبحانه (الخلاق):

وجاء هذا الاقتران في القرآن الكريم (مرتين)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الحجر: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس: ٨١].

(والخلاق) مبالغة من الخلق، وهو اسم خاص بالله عز جل: كثير الخلق حيث إن مخلوقاته لا يحصيها إلا هو، وهو مازال يخلق ما يشاء كيف شاء متى شاء سبحانه وبحمده.

وعن المعنى الزائد المستفاد من اقتران هذين الاسمين الجليلين (الخلاق العليم) هو - والله أعلم - أن خلقه سبحانه للأشياء والأحياء إنما هو عن علم منه سبحانه بما يخلق، كيف يخلقه، ومتى يخلقه، ويعلم الحكمة من خلقه. أي أنه سبحانه وتعالى لم يخلق شيئًا عبثًا وسدى، بل خلقه عن علم وحكمة وإرادة، واجتماع صفة العلم والخلق فيهما صفة كمال أخرى.

ولصاحب التحرير والتنوير توجيه للمناسبة بين هذين الاسمين الكريمين يربطه بسياق الآية السابقة للآية المذكورة في سورة الحجر.

يقول رحمه الله تعالى: «وجملة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ في موقع التعليل للأمر بالصفح عنهم، أي: لأن في الصفح عنهم مصلحة لك ولهم يعلمها ربّك، فمصلحة النّبي ﷺ في الصفح هي كمال أخلاقه، ومصلحتهم في الصفح رجاء إيمانهم، فالله الخلاق لكم ولهم ولنفسك وأنفسهم العليم بمصلحة كل منكم»[1].

(١) التحرير والتنوير ٧/ ٧٨.